# مراجعات الكتب

# البيئة والمجتمع

# Environment and Society

تأليف : إريكا كودورث E. Cudworth.(*)

الناشر : روتلدج - لندن - نيويورك (٢٠٠٣) ٢٣٢ صفحة.

مراجعة : هالي خميس احمد عبده(**)

يبدأ الكتاب بتوضيح أهمية علم الاجتماع البيئي من خلال الإشارة في المقدمة إلى ضرورة اهتمام علماء الاجتماع بدراسة العلاقة بين البيئة والمجتمع، ودراسة أشكال التأثير التي قامت بها الجماعات الإنسانية على الحياة الطبيعية، وإلى أي حد أسهمت التغيرات البيئية في تشكيل السلوك الإنساني، والممارسات الثقافية، والتنظيمات الاجتماعية داخل المجتمعات الإنسانية. بالإضافة إلى ضرورة اهتمام علم الاجتماع البيئي بفهم وتحليل التطورات العلمية والتكنولوجية والممارسات الاقتصادية والسياسات الحكومية وما تضمه كل هذا في تغيير أشكال علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية التي يعيش فيها، وكيف يتم تقديم وعرض هذه التغيرات من خلال وسائل الإعلام، وكل هذا ما يشكل محور اهتمام علم الاجتماع البيئي. ٣

ويذهب المؤلف إلى أن هذا الكتاب يعد مدخلاً أساسياً لدراسة العلاقات المتبادلة بين البيئة والمجتمعات الإنسانية، وأن صياغة العلاقة بين البيئة والمجتمع تختلف باختلاف الفترات التاريخية والثقافات المختلفة (الخصوصية التاريخية والمجتمعية).

وتنقسم فصول هذا الكتاب إلى ستة فصول بالإضافة إلى قائمة بأهم المصطلحات الواردة فيه وعالج المؤلف في الفصل الأول - "علم الاجتماع والبيئة"- المنظورات السوسيولوجية المختلفة لتوضيح العلاقة بين الإنسان والبيئة، والتي تنقسم إلى ثلاثة مداخل. الأول: النزعة التصورية الاجتماعية - "Social

---

(*)أستاذ علم الاجتماع في جامعة ليست لندن.

(**)مدرس مساعد بكلية الآداب قسم الاجتماع - جامعة الإسكندرية.

"Constructionism" والذى يوضح أن العالم الطبيعى "Natural world" نتاج الوعى والفهم الإنسانى ، فمثل هذا المدخل يركز على فكرة أن البشر هم الذين اسهموا بشكل إيجابى وخلاق فى خلق المجتمع الإنسانى. **الثانى : الواقعية النقدية** "Critical Realism" ويرى هذا المدخل أن للبيئة خواص وقوى موضوعية، وأن المجتمع الإنسانى يتفاعل مع البيئة الطبيعية ويقوم بتغييرها على نحو متبادل. **الثالث: نظرية شبكة الفاعل** "Actor - Network Theory" التى تؤكد على أن الإنسان والكائنات الطبيعية أو العضوية يتفاعلان داخل شبكة من العلاقات تعتمد على البناء وإعادة البناء.

وينتهى المؤلف فى هذا الفصل إلى ضرورة استعانة علم الاجتماع البيئى بالمدخل البينى "Interdisciplinary Approach" وذلك فى دراسة قضايا البيئة المعاصرة وصنع السياسات البيئية وتوجيه عمل الحركات الاجتماعية البيئية.

ويجئ الفصل الثانى بعنوان " البيئة والمجتمع فى ضوء نظرية الخُضر الاجتماعية والسياسية ". وفيه اهتم المؤلف بتوضيح الخصائص العامة لفكر الخُضر الاجتماعى والسياسى ومناقشة النزعة الإنسانية "Anthropocentrism" (فالإنسان هو حقيقة الكون المركزية) التى تطورت من خلال علماء الأيكولوجيا. علاوة على محاولة الأيكولوجيا الاجتماعية للربط بين تحليل الإضطهاد الإنسانى وفكرة الإستغلال البيئى. وحاول المؤلف فى هذا الصدد أن يوضح مدخلين لتفسير الاستغلال البيئى من جانب الإنسان وهما، المدخل الأول بعنوان المدخل الإشتراكى البيئى "Eco-Socialism"، ويذهب أنصار هذا المدخل إلى أن عمليات الإنتاج الرأسمالى أدت إلى تدمير واستغلال البيئة الطبيعية التى يعيش فيها الإنسان، بالإضافة إلى اغتراب الإنسان عن عملية الإنتاج وبيئته الطبيعية، واغترابه عن ذاته والآخرين داخل المجتمع.

أما المدخل الثانى بعنوان المدخل النسوى البيئى "Eco-Feminism"، والذى يؤكد على أن اختلاف الأدوار الاجتماعية للنوع "Gender"، يجعل المرأة أكثر تعاطفا مع الطبيعة، ويرى أن الهيمنة الإنسانية والإستغلال الإنسانى للطبيعة

يرتبطان بالهيمنة الاجتماعية التى تفرض من خلال محددات النوع والعرق والطبقة، وكل أشكال الإستبعاد الاجتماعى "Social - Exclusion".

واهتم الفصل الثالث وهو بعنوان " القضايا البيئية والحركات الاجتماعية والفعل السياسى " بتوضيح وتقييم التفسيرات النظرية المختلفة للحركات الاجتماعية الجديدة، كما اهتم المؤلف بعرض الخصائص البنائية للحركات البيئية، وفحص استراتيجيات التغيير السياسى التى يتبناها أصحاب الحركات البيئية، كما اختتم المؤلف هذا الفصل بعقد مقارنات لسياسات وبرامج أحزاب الخضر فى كل من بريطانيا وألمانيا، وإلى اى حد اسهمت تلك الأحزاب فى القاء الضوء على خطورة المشاكل والأزمات البيئية التى تتعرض لها البيئة الطبيعية.

وخصص المؤلف الفصل الرابع لمناقشة " قضايا البيئة والحداثة والتصنيع والتحضر". وذهب إلى أن تغير المجتمع الصناعى فى الغرب أسهم فى تغير العلاقات الاجتماعية وتأثير ذلك على البيئة الطبيعية، وأوضح أن هذه التغيرات تتجسد فى التحضر والتصنيع، وما نتجته تلك التغيرات فى إلقاء الضوء على القضايا والأزمات البيئية المعاصرة مثل تلوث الهواء والماء والتربة الزراعية، والأمن الغذائى، وانتشار الأمراض والأوبئة بين الإنسان والحيوان. وحاول المؤلف أن يوضح أن التغيرات فى المجتمع الإنسانى تضمنت تغيراً أساسيا فى العلاقات القائمة بين المجتمعات الإنسانية والبيئة التى يعيشون من خلالها ويعتمدون عليها، فالعلاقات القائمة أصبحت تتركز فى استغلال الموارد البيئية، واغتراب الإنسان عن بيئته، وارتفاع نسبة الإستهلاك الإنسانى للموارد البيئية؛ الأمر الذى بدأ يشكك فى التنمية المستدامة "Sustaining Development".

واتجه الفصل الخامس لتحديد "مفاهيم التنمية، والتبعية، والعولمة، ووصف الجوانب المختلفة للعولمة" وإلى أى حد أصبحت قضايا البيئة ذات صبغة عالمية، بالإضافة إلى تقييم السياسات العالمية تجاه الحد من التدمير البيئى. وفى

هذا الصدد يذهب المؤلف إلى أن صناع السياسة، ووسائل الإعلام، والحركات البيئية، والتنظيمات الاجتماعية قد أسهموا فى عرض وتقديم القضايا البيئية والنظر إليها على أنها ليست قضايا محلية بل عالمية. ومثل هذه القضايا كثقوب الهواء، وتقلب الأوزون، وارتفاع درجة حرارة الجو، وما إلى ذلك من القضايا التى لا تقتصر على قطر بعينه وإنما تتعدى ذلك بكثير.

وعالج الفصل السادس والأخير علاقة "الإنسان بالحيوان"، وفحص تلك العلاقة وتغيرها عبر الفترات التاريخية المختلفة، ودور الحركات البيئية فى الدفاع عن حقوق الحيوان. ويذهب المؤلف إلى أننا نتفاعل مع الحيوانات فى حياتنا اليومية، ولأن أنماط هذا التفاعل قد خضعت لعدة تغيرات. فالحيوانات استخدمت من قبل الإنسان لتحقيق أغراض عديدة تمثلت فى الغذاء، والملبس، والحماية، والتسلية، بالإضافة إلى أهمية دور الإنسان فى الحفاظ على البقاء النوعى للحيوانات وحمايتها من خطر الإنقراض وذلك من خلال التشريعات والقوانين التى تحظر صيد الحيوانات التى بدأت فى الزوال. ٦

ويبقى أن نشير إلى قدرة المؤلف على توضيح أهمية البيئة والحفاظ عليها والنظر إليها على أنها لا يمكن أن تنفصل عن المجتمع الإنسانى. وقد نجح المؤلف فى عرض المفاهيم والنظريات والقضايا المرتبطة بعلم الاجتماع البيئى، وهو ما يولد الرغبة فى تكثيف العمل على إجراء دراسات وأبحاث تتناول البيئة وقضاياها ومشاكلها من منظور أوسع من خلال مدخل العلوم البيئية، والإستعانة بالفلسفة، والنظرية الاجتماعية، والقانون، والجغرافيا البشرية، وإدارة الموارد البشرية، بالإضافة إلى علم الاجتماع البيئى، وعلم اجتماع التنمية لإلقاء مزيد من الضوء على البيئة وقضاياها ومشكلاتها للوقوف على أفضل السبل لحمايتها من أخطار التدهور والإستغلال الإنسانى المعاصر.